المجلة التاريخية الجزائرية | المجلد:04، العدد:01، جوان 2020. العدد التسلسلي: 13.ص217–233
ISSN:2572-0023 | Volume: 04-N: 01, June 2020- S/ N 13. p217-233

تجليات البعد الديني لثورة التحرير الجزائرية من خلال جريدة المجاهد

Religious dimension in the Algerian revolution through its mouthpiece al-Muja hid

أ/ حياة رحايلي *
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
hayet.rehaili@univ-msila.dz

معلومات المقال/History of the article		
الإرسال/Received	المراجعة/Accepted	القبول للنشر/Published
2020/02/22	2020/04/03	2020/06/30

الملخص:

في هذه المقال نحاول التعرف على تأثير الخطاب الديني للثورة الجزائرية على المجتمع وقتئذ ودوره في عملية تجنيد الجماهير الشعبية في صفوف جيش التحرير الوطني من خلال رصد تجليات البعد الديني لثورتنا المجيدة عبر صفحات لسان حالها وجريدتها الرسمية جريدة المجاهد التي أصدرت أولى اعدادها سنة 1956م وقد اعتمدنا منهجا تاريخيا من أجل الإجابة عن إشكالية البحث، وذلك من خلال تتبع تعاليم الدين الإسلامي التي دعت لها الثورة الجزائرية من خلال لسانها الناطق المجاهد.

الكلمات المفتاحية: جريدة المجاهد، جبهة التحرير الوطني، الإسلام، البعد الديني.

Abstracter:

In This article we try to identify the impact of the religious discourse of the algerian revolution in society at the time. And its role in the process of recruiting the masses in the national liberation army by monitoring the manifestations of the religious revolution through the pages of its first publication in 1956 and we adopted an historic and analytic method, in order to answer the problematic of recearch, by fllowing the teach, by

* المؤلف المرسل/The author of the sender
hayet rehaili: Mohamed Boudiaf University of M`Sila, Algeria.
Email: hayet.rehaili@univ-msila.dz

following the islamic religion called for by the algerian revolution through its mouthpiece : almojahid.
Key words: almojahid news paper, National liberation front, islam, religious dimensions.

مقدمة:

تعتبر ثورة أول نوفمبر1954 من أهم ثورات القرن العشرين فهي لم تكن مجرد حرب من أجل تحقيق الاستقلال فقط، بل تعدت ذلك إلى كونها ثورة ذات أيديولوجية تحمل أهدافا وأسسا ليست بالجديدة على الفكر الوطني الجزائري بل موروثة ومتواترة من أدبيات وبرامج الحركة الوطنية وجامعة لمختلف مشاربها الفكرية وروافدها السياسية.

فالمتتبع لمسيرة الثورة منذ اندلاعها في أول نوفمبر 1954 إلى غاية الاستقلال في1962، يصل إلى نتيجة واحدة وحتمية وهي ان انتصار الشعب الجزائري في حربه ضد الاستعمار الفرنسي لم يكن انتصارا عسكريا أو تفوقا تكنولوجيا بل كان نتيجة تدخل عوامل أخرى اقوى وأشد من السلاح، ألا وهي القيم والمبادئ والعقيدة الراسخة والتمسك بالاستقلال الكامل للبلاد.

ولما كان الاسلام أحد أهم مقومات وأركان المجتمع الجزائري والمحرك الأساسي والمسير الروحي له فقد لعب دورا هاما في مسيرة هذه الثورة وهو ما نجد صداه في مختلف مواثيق وأدبيات ونصوص الثورة الجزائرية والتي اخترنا منها جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني، التي كان ميلادها نتيجة حتمية لتطور ظروف الثورة المتسارعة وكذا لمجابهة المغالطات التي تبثها الإدارة الاستعمارية من خلال وسائلها الإعلامية المتنوعة اذ وجب خلق إعلام ثوري مجابه للإعلام الفرنسي من جهة ومعرف لنشاط الثورة بجناحيها العسكري والسياسي من جهة أخرى، فالمجاهد أُسست لتكون مرآة تعكس نضال الجزائر سواء على مستوى القيادة أو الشعب، فكانت منبرا لنشر الأنباء وضبط الأخبار وبث الخطب الحماسية و الروح القتالية و الجهادية في نفوس الجماهير التي كانت في مواجهة أعتى قوة استعمارية في العالم ككل.

ومنه فإن ورقتنا هذه تنقب عن تجليات البعد الديني لثورة أول نوفمبر من خلال جريدة المجاهد.

يعد الإسلام عامل وحدة ولم شمل للجزائريين وكذا دافع ومحرك لهم منذ بداية الاحتلال الفرنسي، فلا أحد يستطيع إنكار الطابع الديني الذي طبع المقاومات الشعبية التي استمدت منه شرعيتها وقوتها [1] فمعظم قادة المقاومة كانوا زعماء طرق صوفية كانوا يحندون الأتباع ويجمعون الأموال باسم الجهاد والدين والهدف المشترك هو حماية وصيانة الإسلام من الكفار والصليبيين [2].

لذا فقد حاول الفرنسيون منذ البداية توجيه ضرباتهم للدين الإسلامي لأنهم استوعبوا ان المقاومة مدعومة من المساجد ومصدرها هو الزوايا [3] فجندوا لذلك كل الوسائل لضرب الهوية الوطنية الجزائرية وهذا ما يؤكده محمد زروال في قوله «شكل الدين عاملا أساسيا في اهتياج الخيال الوطني للأمة وتنبيهها وإيقاظ الشعور الوطني فيها وإذا كان الدين يقوي اللحمة بين أفراد الشعب الواحد فإنه وحد الجزائريين في رسم أهدافهم الوطنية وإن اختلفت مظاهرهم الاجتماعية» [4].

ويبدو أن الثورة الجزائرية استوعبت جيدا هذا الطرح فحرص مشروعها الثوري أشد الحرص على هذا العامل واهتم به وحتى لجأ اليه وجعل منه أولوية وحتمية مبرزا أحد أهم مقومات الحرب الهامة ألا وهي إمكانية تغلب قوة الإرادة والصمود النابع من الإيمان الراسخ والقوي محل قوة السلاح والرشاش والدبابة هذا وقد كانت جبهة التحرير الوطني مجبرة على دخول معترك صعب لمواجهة ترسانة من خبراء الحرب النفسية الفرنسية، وهو سبب ميلاد جريدة المجاهد التي جندت لمهمة حشد الجماهير وبث الروح القتالية فيهم والاستثمار في الدين الذي يشكل عامل لوحدتهم، وهو ما يظهر جليا من خلال التسمية فقد اختارت الجبهة اسم المجاهد دون غيره ليطلق على لسانها المركزي والناطق باسمها وذلك ما يمكننا ان نستقي منه البعد الديني القوي للثورة الجزائرية.

هذا وقد خصصت الجريدة في افتتاحية العدد الأول مقالا لتبرير إطلاق هذا الاسم على هذا العمل درءَ لكل شبهة تعصب أو تطرف، فالجهاد حسب الصحيفة "ظاهرة متحفزة من الدفاع عن الذات للاحتفاظ على ميراث القيم العليا الضرورية للفرد وللجماعة أو استرجاعها " [5].

وهو ما حاول الاستعمار الفرنسي إلصاقه بالثورة منذ البداية والذي نفته الجبهة في كل مراحل كفاحها بداية ببيان أول نوفمبر والذي أقر "احترام الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني" [6] وهو التزام منها بحماية الأقليات غير المسلمة التي ترغب في البقاء في الجزائر بعد الاستقلال، دون النظر الى العقيدة الدينية؟ فكيف لحرب ترحب بأبناء العدو في بلادها بعد تحقيق الاستقلال أن توصف بالتعصب وتنعت بالتطرف؟

كما تزيد المجاهد "انها لم تقصد باتخاذ هذا الاسم الا إثباتا وإقرارا لهذه الكلمة المجيدة التي أطلقها الشعب برمته ومن تلقاء نفسه منذ الفاتح نوفمبر 1954 على الأبطال المقاومين الذين حملوا السلاح لتكون الجزائر حرة ديمقراطية مستقلة" [7] وفي هذا يقول سعد دحلب «يجب علينا ألا نخلط في هذا السياق بصفة خاصة بين حرب دينية وثورة ترتكز على الإسلام وتستمد قوتها منه وتعني الدفاع عن الحق والعدالة والكرامة ضد الطغيان واستغلال الإنسان» [8]. إن المتتبع لمسيرة هذه الجريدة منذ صدورها في 1جوان 1956 إلى غاية الاستقلال يرى وبوضوح تجلي مختلف قيم الإسلام فيها، ولدراسة هذا الموضوع قمنا بتتبع هذه القيم بين صفحاتها ورصدها واحدة واحدة باحثين عن كل ما هو ديني فيها، فالجريدة جد غنية –حسب رأينا–بقيم الدين الإسلامي إذ ذكرت بطريقة ضمنية أو بطريقة واضحة وجلية [9]، وأول ما يمكن ذكره هو الحرب كقيمة.

أولا/ الحرب كقيمة

لم تكن الثورة الجزائرية مجرد حرب من أجل الحرب فقط بل حرب هدفها هو إنقاذ البلاد واسترجاعها من السلطة الاستعمارية المجحفة، فالمتتبع لمواثيق الثورة منذ البداية أي البيان وإلى غاية ميثاق طرابلس يجد أنها اختارت طريق العمل المسلح لأنها كانت مضطرة لذلك فهي لم ترفع شعار الحرب إلا بعد أن جربت كل الطرق والأساليب فأيقنت أن ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بها خاصة بعد أحداث 8ماي 1945الأليمة التي قضت على بصيص الأمل حتى عند المتغربين والمتفرنسين والمقتنعين بمبادئ الحضارة الغربية والقيم الفرنسية [10].

وقد جاء في بيان أول نوفمبر أول وثيقة موجهة للشعب من طرف الثورة "أيها الجزائري أننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تنضم إليها لإنقاذ بلدنا والعمل على أن نسترجع

له حريته" [11] إذن فأهداف هذه الثورة هي "القضاء بصفة نهائية لا رجعة فيها على النظام الاستعماري البغيض والمنحط" [12].

هذا وسارت جريدة المجاهد على نفس سياق البيان فدعت هي الأخرى لضرورة الجهاد وإعلان الحرب ضد فرنسا ونظامها الاستعماري الظالم الذي عصف بأركان الدولة الجزائرية، فالجهاد الجزائري حسب المجاهد ليس حربا دينية أو بغضا عنصريا وإنما هو الكفاح لاسترجاع الكرامة المهدورة "إن جهادنا معناه التصميم الكامل على التضحية والاستشهاد وتوجيه جميع الجهود لتدمير الجهاز الاستعماري وبناء جزائر جديدة حرة مستقلة، إن الجهاد وجهادنا على الأخص لا يحمل أدنى معنى للبغض العنصري أو التعصب الديني" [13].

فاعلان الحرب إذن أصبح ضرورة لحفظ الدين والشرف والعباد والبلاد من أساليب الفتك الاستعماري الذي أراد تحطيم الهوية الوطنية الجزائرية واستعباد الجزائريين وإذلالهم، فأي قيمة أسمى من قيمة الجهاد في هذه الحالة؟ [14]

وفي هذا المقام تقف المجاهد متسائلة: "أي جهاد أحق بالتقديس وأجدر بأن يرفع إلى درجات التمجيد أكثر من الكفاح ضد مستعمر لا يراعي حرمة الدين ولا حرمة الوطن ولا حرمة الإنسان، مستعمر داس جميع القيم وحاول أن يمسح كيان شعب ويشوه حقيقة تاريخ ويجحد وجود أمة، وأي غرابة في أن نطلق على كفاح الجزائر اليوم اسم جهاد؟ وأية غرابة في أن نطلق على الجزائري المكافح اسم المجاهد؟" [15].

فالالتجاء للحرب والعنف إذا كان ضرورة ملحة وحتمية، فطابع العنف الذي اتسمت به الثورة الجزائرية كان ملزما على حد قول سليمان الشيخ الذي يرى بأن الثورة وجدت نفسها مضطرة للحل المتطرف والعنيف، إذ أن النضال المسلح في الجزائر طوال مدة الثورة كان يبرز فيه شدة المجابهة بين السلطة الفرنسية ومختلف طوائف الشعب [16].

فلا الثورة ولا ثوارها كانوا من محبي الحروب ولا سفاكي دماء بل مجرد مدافعين عن أعراضهم وشرفهم وديارهم ووطنهم، وفي هذا الصدد تسرد جريدة المجاهد في عددها الثامن واصفة أحد جنود الثورة "لقد كان علي ملاح رجلا مسالما لا يحب الحرب انه أحد أولئك الهادئين

الذين اضطرتهم فرنسا لحمل السلاح ،لقد كان كثيرا ما يحدث جنوده عن هذا الشيء الفظيع الذي هو الحرب، ويذكرهم أن الجهاد الذي يقوده جيش التحرير الوطني إنما هو وسيلة لازمة لابد منها ،لأن فرنسا لم ترد أن تنتضح-كذا في النص- للخروج من هذا الاستعباد الذي هو أفظع من كل حرب ومن كل قتال" [17].

كما ربط الجهاد وإعلان القتال بقيمة أخرى هي الاستشهاد فكل من قتل في هذه الحرب الشعواء يطلق عليه اسم "الشهيد" وسمي الشهيد شهيدا لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، والشهيد حي، أي عند ربه حي لا يموت [18]. وهنا تسرد المجاهد رسالة شهيد المقصلة الرمز أحمد زبانة لأهله والتي جاء فيها أن "الموت في سبيل الله حياة لا نهاية لها" [19].

ثانيا/ حرب من أجل السلم

من خصائص الثورة الجزائرية أنها حرب أعلنت من أجل تحقيق السلام، فهي لم تعلن كما أسلفنا سابقا ألا لأنها اضطرت لذلك وفي هذا يقول سعد دحلب "لم يسد السلام أبدا في يوم من الأيام إلا بقوة السلاح ولم يكن أول نوفمبر 1954 إلا القرار الأخير الذي أعطى الضربة القاضية للاحتلال الفرنسي وأسدل الستار على الليل الطويل والمرير الذي دام 132سنة " [20].

لذا فقد أبدت قيادة الثورة في بيان أول نوفمبر استعدادها الكامل للسلم وذلك تحاشيا لأي تأويل أو تغليط للرأي العام العالمي عن طبيعة هذه الثورة، وإراقة الدم الجزائري والفرنسي على حد سواء ،فأعدت وثيقة للمناقشة في حال ما إذا اعترفت السلطات الفرنسية بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره فجاء في البيان "...وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة للدماء فقد أعدنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة إذا كانت هذه السلطات تحذوها النية الطيبة ،وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها" [21].

والمتتبع لمسيرة الثورة طوال مدة الكفاح المرير يلاحظ تواصل تبنيها لمبدأ السلم فجاء في وثيقة الصومال مثلا "أهداف الحرب هي نهاية الحرب التي منها يبدأ تحقيق السلم، أهداف الحرب هي الحالة التي نوصل إليها العدو لنحمله على قبول أهدافنا السلمية " [22]. لذا فان وقف القتال

مشروط ومرهون فقط بموافقة فرنسا على أهداف جبهة التحرير الوطني السلمية وهي الاعتراف بالاستقلال الكامل غير منقوص، وحق تقرير المصير الذي يعد حق مشروع لكل الشعوب.

كما أكد المجتمعون في مؤتمر طرابلس 1959-1960 على مبدأ السلم فجاء فيه "أن المجلس الوطني للثورة الجزائرية في نفس الوقت الذي يندد بهذه السياسة العدوانية يؤكد من جديد إرادة السلام لدى الشعب الجزائري، الذي يضطر للجوء إلى الكفاح المسلح لإحرازه حقه في الحرية والاستقلال إلا بعد أن استنفذ كل الوسائل السلمية" [23].

كما أن الثورة دائما بحثت احتمالات السلم بالدعوة إلى التفاوض المبني على الاحترام والمساواة والثقة المتبادلة بين الطرفين الفرنسي والجزائري وقبل كل هذا الاعتراف بحق الشعب في تقرير مصيره. وأكدت جريدة المجاهد على هذا الطرح فدعت إليه في كل أعدادها تقريبا باعتبارها الناطق الرسمي عن الثورة فجاء في أحد اعدادها:" لقد كنا دائما نؤكد رغبتنا في حل القضية الجزائرية حلا سلميا بطريقة التفاوض ولكن الرفض المتعنت الذي قابلت به حكومات فرنسا طلب المفاوضات هو السبب الرئيسي في إطالة أمد الحرب، وهذا يعني أن الحرب في الجزائر يمكن أن تنتهي سريعا إذا ما كانت الحكومة الفرنسية ترغب في ذلك" [24].

إذن فالمجاهد أكدت هي الأخرى كما أكدت الثورة بمختلف نصوصها ومواثيقها وأدبياتها عن طابعها السلمي وعن جنوحها لتكريس الأمن ،رابطة إياه دائما بقبول شروطها للدخول في المفاوضات "فمنذ نوفمبر1954 لم تنفك جبهة التحرير الوطني تؤكد أن الحل الوحيد لإنهاء النزاع هو التفاوض لأنها كانت دائما مؤمنة –مثل اليوم–أن التفاوض هو الطريق السليم الذي يحقق تسوية جدية وثابتة وعلى هذا الأساس أول عمل قامت به الحكومة المؤقتة الجزائرية هو أن تبرهن بوضوح على رغبتها المخلصة في أن تصل إلى حل للمشكلة الجزائرية عن طريق التفاوض مع فرنسا وأعلنت أنها على استعداد لمقابلة مندوبين عن الحكومة الفرنسية لهذا الغرض" [25].

ثالثا/ الوحدة

كانت الوحدة الوطنية وتجميع الطاقات الشعبية من أهم الأهداف الحيوية للثورة الجزائرية منذ الاندلاع إلى تحقيق الاستقلال إذ أكدت الثورة على وجوب التقارب والتضامن لتحقيق الهدف

المنشود الذي هو استرجاع البلاد فجاء في بيان أول نوفمبر "تجميع وتنظيم الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري " [26].

ويبدو أن جبهة التحرير الوطني كانت متمسكة بهذا المبدأ سواء على مستوى الحركة الوطنية أي الأحزاب التي كانت في حالة تمزق وتشرذم أو على المستوى الشعبي الجماهيري، وهنا يقول الأمين شريط "كان من الحتمي إذن أن يكون العامل الوحيد لتوحيد كافة القوى هو جمعها حول ما تتفق عليه وهو الكفاح من أجل الاستقلال" [27].

هذه الحركة التي اتخذت اسم جبهة التحرير الوطني حتى تتيح الفرصة لجميع أحرار الجزائر الانضمام للكفاح المسلح والانضواء تحت جناحها دون أدنى اعتبارات سياسية أو عرقية أو اجتماعية ...

وهي الفكرة التي رددتها وكررتها جريدة المجاهد بين صفحاتها حاشدة للهمم من جهة وواقفة في وجه مناورات التقسيم الاستعمارية من جهة أخرى فالثورة حسب المجاهد قامت لتوحيد الشعب الجزائري الذي لم ولن يقبل بأي مشروع تقسيم فجاء فيها "منذ قامت الثورة الجزائرية حددت لها أهدافا عامة ومبادئ سياسية واقتصادية واجتماعية وفي مقدمة هذه المبادئ مبدأ مقدس لا يمكن النيل منه وهو مبدأ وحدة الشعب الجزائري ووحدة التراب الوطني الذي لا يقبل أي نوع من أنواع التجزئة والتقسيم " [28].

وقد تمسكت الثورة بهذا المبدأ رافضة لكل تنازل، فمبدأ الوحدة في مشروع الثورة الجزائرية مبدأ راسخ لا تراجع عنه وفي هذا يقول بن يوسف بن خدة "عارضت الحكومة المؤقتة الجزائرية ذلك المفهوم القائم على مبدأ التفرقة العرقية وقابلته بمفهوم مناقض مستند على مبدأ وحدة الأمة الجزائرية المكونة من شعب واحد تشكل خلال قرون عديدة وطبيعته الثقافة العربية الإسلامية بطابعها المتميز، واستمدت مقومات شخصيتها وأصالتها وما زادها الكفاح ضد الاستعمار إلا متانة وتعزيز" [29].

وهو ما تحقق فعلا ولم يبق قيد التنظير الثوري فالشعب الجزائري الذي عانى من ويلات الاستعمار الظالم ضرب خير الأمثلة في الوحدة والتضامن والتآخي، وقد جاء في جريدة المجاهد

في هذا الصدد "أن الشعب الذي انصهر وسط الآلام والكفاح قد أصبح كتلة واحدة متماسكة، فالفلاحون والعمال والتجار والمثقفون والرجال والنساء والشبان والشيوخ قد أصبحوا كلهم مناضلين داخل جبهة التحرير الوطني قائدة كفاح الشعب وعربون انتصار وضمانة تحقيق أهدافه" [30].

هذه الوحدة واللحمة كانت سائدة بين الجماهير الشعبية من جهة وبين جنود جيش التحرير من جهة أخرى وبشهادة الفرنسيين أنفسهم إذ انتشرت روح الأخوة والتماسك بين صفوف الجيش فالضابط والجندي يعيشون بنفس الأسلوب ويأكلون نفس الأكل، ويواجهون نفس الخطر، بل إن القائد هو من يكون في الطليعة وهو ما يفسر كثرة استشهاد القادة [31].

هذا ولم ترد الثورة لمبدأ الوحدة أن يبقى حبيس حدود التراب الجزائري بل حاولت تكريسه مغربيا وعربيا وإسلاميا، فبالإضافة لأهدافها الداخلية كان من ضمن أهداف الثورة الخارجية تحقيق الوحدة المغاربية في الإطار العربي والإسلامي، هذه الوحدة التي يقرها التاريخ والجغرافيا والدين والثقافة والمصير الواحد، فجاء الاستعمار فزادها تماسكا [32].

وقد دعت المجاهد إلى هذه الوحدة ورأت أن الحدود الإدارية التي وضعت بين دول شمال إفريقيا، إنما هي حدود مصطنعة، ووحدة المغرب العربي حقيقة دائمة، والتعاون الأخوي بين شعوب المنطقة سيجعل لها مكانة في حوض المتوسط [33].

رابعا/ التضحية والصبر

ضرب الشعب الجزائري أروع الأمثلة في التضحيات والصبر والجلد منذ أول نوفمبر وحتى تحقيق الاستقلال، فهو لم يبخل بالنفس ولا النفيس عن ثورته رغم القمع الشديد والمتواصل، ورغم الوحشية النكراء والرهيبة بقي صامدا، ومصمما على بلوغ هدفه، والأمثلة في هذا الصدد لا تعد ولا تحصى.

وبما أن المجاهد وجدت لتكون صوتا لنضال الشعب الجزائري فقد نقلت مختلف صور معاناته في كفاحه المرير في المدن والأرياف فجاء في احدى مقالاتها تصوير بليغ لحالة الجزائر أثناء الاستعمار والتي تحولت من خلال الأساليب القمعية المسلطة على شعبها والحصار المفروض عليه

كالسجن الكبير الذي يحد من حرية افراده اذ، جاء في هذا الصدد ما نصه: «وكل مدينة فيه تحيط بها الأسلاك أيضا ولا يدخلها أو يخرج منها أبناؤها إلا برخصة من حارس السجن، وكل قرية فيه تحيط بها قوات العدو وتنصب فيه مراكز المراقبة وكل دوار أخلي من سكانه وحشد نساؤها وأطفاله ورجاله في جحيم المجاعة والمرض والقهر والانتحابات –كذا في النص–وفي كل ناحية سجونها ومراكز تعذيبها وفي كل عائلة شهيد وفي كل عائلة دموع" [34].

وقد تعددت مظاهر الاضطهاد المسلط فقد حوصر الجزائريون في المحتشدات وعانوا فيها معيشة قاسية فحرموا من أبسط ظروف الحياة الكريمة [35].

كما نقلت الجريدة كذلك معاناة اللاجئين الذين اضطرتهم الظروف لمغادرة أرض الوطن فعانوا الأمرين من جوع وبأس وعري مع ذلك حفظوا كرامتهم وصانوا شرفهم فهم يعرفون أن ما يعانونه من أهوال إنما هو في سبيل قضية مقدسة هدفها تحقيق استقلال بلا دهم [36].

وفي مراكز التعذيب صورت المجاهد كيفية وطرق وأساليب التعذيب الوحشي التي يتعرض لها الجزائري، وهي شهادات حية من أرض الواقع رصدتها الجريدة لتفضح المستعمر الغاشم الذي فقد كل قيم الرحمة والإنسانية فعلى سبيل المثال لا الحصر ورد مقال عنوانه **من هم الجلادون النازيون؟** تطرقت فيه لشهادة الجنرال **بيجار** حول شخصية الشهيد البطل العربي بن مهيدي الذي تعرض لأصناف لا تحتمل من التعذيب، ورغم ذلك لم يدل بأي اعتراف يضر بإخوانه في الكفاح ولا بثورته وفي هذا يقول الجنرال **بيجار**: "إن بن مهيدي يعرف كيف يقهر الألم، انه مؤمن بالمقاومة إيمانا أعمى " وهي شهادة لها وزنها وثقلها، فهو يعترف بأن هذا المقاوم الذي قتل بأمره مقاوم شريف ومؤمن بقضيته [37]. فهؤلاء من تقول فيهم الآية الكريمة ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ [38].

وهذا الشهيد مصطفى بن بولعيد يرد على الجنرال مونتوي عندما سأله عن سبب مضيه في هذا الطريق قائلا: "بأنه لم يحمل السلاح لأسباب شخصية فهو وأولاده لا ينقصهم شيء لكن في المقابل يعيش الشعب الجزائري البؤس، ففي الأوراس يعتبر الأهالي في درجة أقل من

الكلاب، لا أحد يهتم بهم، أنهم المنسيون النسيان الأبي فمن دون الكفاح الذي نخوضه من ذا الذي يستطيع أن يعالج هذه الوضعية " [39]، فالشعب لما ثار على فرنسا كانت ثورته من أجل استرجاع حريته التي سلبت منه ولم تكن أبدا لتدفعه لذلك مظاهر الفقر والجوع والبؤس لأن من الجزائريين من قاوم بنفسه هذه المظاهر الاجتماعية ، ومنهم مصطفى بن بولعيد وعائلته الذين كانوا ميسوري الحال لكنهم في نفس الوقت كانوا تواقين لحرية شعبهم فعبروا عن ذلك من خلال التضحية بالنفس والايمان بمبدأ الايثار بكل معانيه لاسترجاع حقوق الشعب المسلوبة من طرف الاستعمار الفرنسي.

حقيقة ان الحديث في موضوع قيم التضحية والإيثار والصبر في الثورة الجزائرية يحتاج كتبا إن لم نقل مجلدات وموسوعات، فمهما تحدثنا نكون مجحفين في حق أناس ضحوا بالنفس والنفيس من أجل أن يعطونا الأمان والحرية، من أجل أن نعيش في عزة وكرامة، ومن أجل بناء الجزائر المستقلة. فالباحث في موضوع قيم الثورة الجزائرية، يقف خاشعا متسائلا: من هؤلاء؟ من أية طينة هم؟ هل هم بشر عاديون؟ أم أنهم من جنس أخر غيرنا؟ هل البأس والحرمان يصنع التضحيات اللامتناهية؟ أم أنها فطرة جُبلوا عليها؟ إن كل هذه الأسئلة تقودنا إلى أسئلة أخرى لا أجد لها جوابا إلا كما كتب محمد زروال " إن هذه الثورة ليست إلا نفحة ربانية أكرم الله سبحانه وتعالى بها عباده المؤمنين في هذه الديار" [40].

خامسا/ التسامح الديني والروح الإنسانية

لا يمكن الحديث عن القيم الدينية للثورة الجزائرية المتجسدة في جريدة المجاهد دون التطرق لقيمة كثيرة التردد بين صفحاتها الا وهي التسامح الديني ،فالأخيرة لم تتوان أبدا عن الترديد بأن الثورة الجزائرية لا تملك أي حقد أو بغض اتجاه الأقليات فجاء مثلا في العدد الثالث للجريدة رسالة وجهتها الثورة إلى يهود الجزائر ،تدعوهم بمعشر المواطنين الأعزاء وتطالبهم بالتصريح علنا بانتمائهم للأمة الجزائرية لنزع بذور الحقد التي غرسها الاستعمار الفرنسي، وتذكرهم بأن أرض الجزائر هي أرضهم ولطالما كانت مأوى لكل الإسرائيليين الذين فروا إليها من الاضطهاد الديني والوحشية المسلطة عليهم [41].

هذا ولم تكتفي بهذا القدر بل هي ترى بأن وجود أقليات أوربية وفرنسية في الجزائر لا يشكل أدنى مشكلة لأن الدولة الجزائرية المستقلة لن تكرس التفرقة ولن تضع أي اعتبارات دينية أو عرقية، فهي ستعطي كل الضمانات ليعيشوا على درجة من المساواة مع باقي الشعب دون أدنى تمييز [42].

وهو ما يعد تكريسا للمبدأ الذي أتى به بيان أول نوفمبر 1954 الذي خير الفرنسيين الراغبين في البقاء بين جنسيتهم الأصلية التي ستبقيهم كأجانب في الدولة أو الجنسية الجزائرية التي تجعلهم مواطنيهن كاملي الأهلية [43].

وفي هذا الصدد تؤكد المجاهد بأن الفطرة السليمة للشعب الجزائري لم تتشوه بفعل القمع الوحشي والمحن والظلم المسلط عليه، بل بالعكس إن سنوات الاحتلال المجحف لم تزد الشعب إلا نقاء وطيبة فجاء في العدد التاسع مثلا دراسة مقارنة بين أسلوب جيش التحرير الجزائري وأسلوب الفرنسيين في الحرب فجيش التحرير الوطني سن قوانين في مؤتمر الصومام لا يتعداها المجاهد مثل "تحريم جميع أنواع التمثيل بالشخص أو التشويه لخلقه ، كما نص أن كل من يتعدى على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام ،وعلى أن تنفيذ الإعدام لا يتم إلا بعد محاكمة شرعية قانونية يمكن فيها المحاكم من الدفاع عن نفسه ، كما أكد ذات المؤتمر على وجوب معاملة الاسرى معاملة إنسانية اقتداء بالسيرة النبوية في تعامل الرسول ﷺ مع أسرى المشركين [44].

ففي الوقت الذي كان فيه الجزائريون يعانون أشد ألوان العذاب في مراكز ووحدات الجيش الفرنسي والتي يعترف بها الفرنسيون أنفسهم –فهم يرون بأن ممارسة التعذيب ضرورة تفرضها وتمليها الظروف [45] –كان أسراهم يقيمون بين جنود جيش التحرير بكل أمان فلم يحدث أن تعرض جنودنا لهم بسوء أو عذبوا أو حرقوا أو مثل بهم وتورد المجاهد شهادات حية من أسرى فرنسيين عاشوا بين جنود جيش التحرير "إننا نحب أن نعلن عن المعاملة الطيبة التي تلقيناها من الوطنيين الجزائريين فلم نتعرض أبدا للشتم أو الإهانة ولم يستعمل ضدنا أي ضغط مادي أو معنوي، كنا نتناول طعامنا قبل الجميع وفي غالب الأحيان كنا نخجل من هؤلاء الذين يعاملوننا بمنتهى الطيبة والروح الإنسانية " [46].

ويبدوا أنه كان للبعد الإنساني والتسامح الديني ومثل وعدالة الثورة الجزائرية صدى لدى الرأي العام الفرنسي، فقد وقف بعضهم موقفا مشرفا مساندا للشعب الجزائري المكافح فجاء في أحد أعداد المجاهد رسالة موجهة من أساقفة ينتمون إلى البعثة الفرنسية (ميسون دي فرنس) وطلبوا نشرها على صفحات الجريدة مما جاء فيها أن كفاح الجزائريين كفاح عادل ومشروع لأنه كفاح المظلوم، ولأنه يتوافق مع قانون الله وقانون جميع الأنبياء [47].

سادسا/ عدم الاستكانة للعدو

ما يميز الثورة الجزائرية عن غيرها من الثورات هو تمسكها منذ البداية بالاستقلال الكامل للبلاد رغم كل سياسات الترغيب والترهيب الفرنسية فالملاحظ لمختلف برامج ومواثيق الثورة يلمس تشبثها المستميت بمبدأ الاستقلال الذي لا بديل عنه وتأكيدها على أهداف أول نوفمبر1954 واعتبارها خطوط حمراء لا يمكن الحياد عنها، فجاء في ميثاق الصومام مثلا "تجري المفاوضات على أساس الاستقلال بما يشمله من الدبلوماسية والدفاع الوطني" [48].

وروجت المجاهد لهذا الطرح على صفحاتها "ان الحكومة الجزائرية الشرعية التي تمثل الشعب الجزائري وتقود كفاحه مستعدة للدخول معها في مفاوضات تضع حدا للحرب وتقرر حق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير مصيره بيده، وتحذر أيضا بأن الشعب الجزائري بدون هذا الشرط لا يمكن أن يضع السلاح من يده " [49].

فرغم الجهود الفرنسية الحثيثة لتفكيك الوحدة الترابية للبلاد والحصول على تنازلات تشبث الفكر الوطني الثوري بمبدئه الأساسي رافضا كل المساومات والضغوط التي كانت تهدف إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الامتيازات.

إذ تمسكت الحكومة المؤقتة الجزائرية تمسكا صارما بمبدأ الاستقلال في إطار الوحدة الترابية الكاملة فدافعت بكل ما أوتيت من قوة على طاولة المفاوضات وعلى المستوى الشعبي والرأي العام العالمي [50].

وقد جاء في المجاهد مقال أخر أجاب عن سر التشبث بمبدأ الاستقلال الغير قابل للنقاش لدى الثورة الجزائرية عنوانه لا تفاوض قبل الاعتراف بالاستقلال لماذا؟ سرد كاتبه جملة

الوقائع والخيبات التي مر بها الجزائريون والتي جعلتهم لا يثقون بفرنسا الاستعمارية ولا بوعودها بداية من سنة 1912 عندما فكرت أن تجعل الرجل الجزائري جنديا في جيشها ومرورا بالحرب العالمية الثانية ومشاركة الجزائريين فيها دون جدوى، وفي 8 ماي 1945 جاء جواب فرنسا بتقتيل الآلاف من الجزائريين فلا وثوق ولا أمان في إدارة عرفت بالخداع والتلاعب [51] وفي هذا انزل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [52].

والنتيجة من كل ما سبق ذكره:

أن جريدة المجاهد لم تخلوا من قيم الدين الإسلامي فالمتصفح لأعدادها يوقن أن البعد الديني للثورة الجزائرية يتجلى وبقوة بين صفحاتها ،بداية من اسمها وحتى مضمون مقالاتها فلم يمر عدد من أعدادها إلا ودعت فيه المجاهد الجزائريين للجهاد أو نقلت صور صبرهم وتضحياتهم ورفضهم للمذلة والاستكانة أو دعتهم للوحدة ولم الشمل وتجميع الصفوف، إذن فالمجاهد حقل خصب وغني لمن أراد التعرف على قيم الثورة الجزائرية المجيدة ، والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال التحدث عنها بمعزل عن مبادئها الراسخة ومسلماتها العليا التي أدهشت الدنيا وأبهرت العالم جميعا، تلك المبادئ التي جعلت معذب العربي بن مهيدي يذهل ويقول لو أن لي ثلة من أمثال هذا الرجل لغزوت العالم؟ هي ثورة نوفمبر التي أكدت ورسخت قاعدة حربية جديدة مفادها أن قوة القيم والمبادئ أقوى من قوة السلاح والدبابة.

الهوامش:

1– محمد حربي، **سنوات المخاض**، ترجمة: نجيب عباد، صالح المثلوثي، سلسلة صاد، 1994، ص76.

2– محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين 1830–1954**، ترجمة: محمد العراجي، وزارة المجاهدين، 2008، ص221.

3– محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر 1954–1962**، ج2، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص10.

4- محمد زروال، **الحياة الروحية في الثورة الجزائرية**، منشورات وزارة المجاهدين المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص13.

5- المجاهد، العدد الأول، 1956/6/1.

6- **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني**، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر ،1979، ص96.

7- المجاهد، العدد الأول، 1956/6/1.

8- سعد دحلب، **المهمة منجزة من أجل الاستقلال**، منشورات دحلب ،2007، ص131.

9- على عكس ما ذهبت إليه الباحثة عواطف عبد الرحمان في كتابها الذي اتخذت فيه جريدة المجاهد مجالا للدراسة والذي أكدت فيه أن الجريدة لم تتعرض للجانب الديني وآثرت الابتعاد عن هذا الجانب إلا في قضية مشروع ديغول لتعديل القضاء الإسلامي، فكيف لجريدة اتخذت اسم المجاهد ألا تحمل أي بعد ديني؟ وما هو تصنيف الكاتبة إذا لمقال جهاد الجزائر أو القيم الأخلاقية لجيش التحرير الوطني أو التسامح مع الأديان؟ راجع عواطف عبد الرحمن، **الصحافة العربية في الجزائر**: دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1995، ص129-130.

10- الغالي غربي، **فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958: دراسة في السياسات والممارسات**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص31.

11- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص10.

12- نفس المصدر، ص27.

13- المجاهد، العدد الثامن، 1957/08/08.

14- حث الله عز وجل على الجهاد في 98 موضع من القرآن ورفع من منزلة المجاهدين فقال على سبيل المثال لا الحصر في سورة النساء ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (75)**﴾

15- المجاهد، العدد الثامن، (08\08\1957).

16- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح: دراسة في تاريخ الحركة الوطنية المسلحة، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، ص6.

17- المجاهد، العدد التاسع، 1957/08/20.

18- بلقادر شتوان، البعد الديني للثورة الجزائرية من خلال المصطلحات الإسلامية: الله أكبر-الجهاد-الشهيد، المعيار، العدد الرابع، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2003، ص87، وفي هذا المقام يقول المولى عز وجل في سورة آل عمران ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170)**﴾ آل عمران.

19- المجاهد، العدد الثلاثون، 1958/10/10.

20- سعد دحلب، المصدر السابق، ص9.

21- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص10.

22- المصدر نفسه، ص27.

23- عبد الله مقلاتي، **موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية**، ج10 (مواثيق الثورة الجزائرية دراسة وتحليل)، شمس الزيبان، الجزائر ،2013، ص 408.

24- المجاهد، العدد الثلاثون، 1958/10/10، فالثورة إذا درست احتمالات السلم والحرب معا فرضخت لقوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)﴾ سورة الأنفال.

25- المجاهد، العدد الثلاثون، 1958/10/10.

26- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص11.

27- الأمين شريط، **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دس ن، ص89.

28- المجاهد، العدد السابع والتسعون، 1961/06/05.

29- بن يوسف بن خدة، **جذور أول نوفمبر**، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، ط2، 2012، ص257-258.

30- المجاهد، العدد مائة وستة، 1961/10/09، يقول المولى عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)﴾ الأنفال.

31- المجاهد، العدد مائة وستة، 1961/10/09.

32- الصادق بخوش، **الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص175.

33- المجاهد، العدد أربعة وسبعون، 1960/08/08.

34- المجاهد، العدد خمسة وستون، 1960/04/4.

35- المجاهد، العدد سبعة وخمسون، 1957/12/15.

36- المجاهد، العدد ستة وثلاثون، 1957/02/06. جاء في التنزيل الحكيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (155) سورة البقرة.

37- المجاهد، العدد الثاني عشر، 1958/11/15.

38- سورة الأحزاب الآية 63.

39- فرحات عباس، **تشريح حرب**، ترجمة: أحمد منور، منشورات وزارة المجاهدين، د س ن، د م ن، ص115.

40- محمد زروال، المرجع السابق، ص61.

41- المجاهد، العدد الثالث، 1957/09/01.

42- المجاهد، العدد الثلاثون، 1958/10/10.

43- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 10.

44- المجاهد، العدد التاسع، 1957/08/20.

45- اوساريس، شهادتي حول التعذيب: مصالح خاصة 1957-1959، تر: مصطفى فرحات، دار المعرفة 2008، ص26.

46- المجاهد، العدد الثالث والأربعون 1959/06/1، يقول المولى عز وجل ﴿**يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8)** ﴾ الإنسان/8.

47- المجاهد، العدد الثاني والعشرون، 1958/04/15.

48- النصوص الاساسية لجبهة التحرير الوطني؛ المصدر السابق؛ ص 28.

49- المجاهد، العدد الثلاثون، 1958/10/10.

50- بن يوسف بن خدة، **اتفاقيات إيفيان**، ترجمة: لحسن زغدار، محل العين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س ن، ص 39.

51- المجاهد، العدد الثاني عشر، 1958/11/15.

52- سورة محمد، الآية 35.